Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

نتساءل في البداية هل في إمكاننا تحديد إرهاصات المقارنة في كتب الرحلات الأدبية ؟ وكيف يمكن الحدس بالنزعة التجريبية المقارنة الساذجة عبر سيكولوجية الرحلات ؟ .

للإجابة عن السؤالين ، علينا أن نعود إلى رؤية الرحالة العرب ، هذه الرؤية التي ارتبطت تاريخياً بحوافز دينية (كالحج) أو الغزوات (كالحروب الصليبية) أو ببعثات علمية (دراسية) أو بمغامرات الاكتشاف الجغرافية (لرسم خرائط العالم) .

ويعكس مفهوم الزمان والفضاء في كتب الرحلات ـ عموماً ـ عدة تحولات ساهمت في إعطاء هذا النوع الأدبي شكله النهائي . كما يسمح موضوع الرحلات في الأدب بتجسيد المتخيل ، عبر نظام الرموز ، حيث تصبح التجربة المعيشة تاريخاً ، بينما تلعب الكتابة بالمتخيل والتاريخ ، مواجهة في ذلك تارة بميثية وتارة بنوع من الحقائق .

وتنمو رغبة المقارن عادة تبعاً لريادة أدبية ، ومن الطبيعي إذن أن يبحث هذا المقارن عن تواصلات تحكم العلائق بأفراد آخرين ، مولدة بذلك موازنات طبيعية بين رغبة الرحلات وموهبة الأديب المقارن .

تسكن المقارنة إذن كل رحلة ورحالة ، تواجه فيهما « الأنا » بـ « الغير » والحق أن الرحلة ، حتى ولو كانت حربية على غرار رحلة بونابرت ، التي تعتبر تغرباً ، في الآفاق الأخرى ، ونوعاً من الهروب إلى الأمام ، وهو هروب يفترض شبه إندماج وتكيف مع بنيات وقيم إنسانية كيفما كانت ظرفيتها .